مجلة الجامعة القاسمية

للغة العربية وآدابها

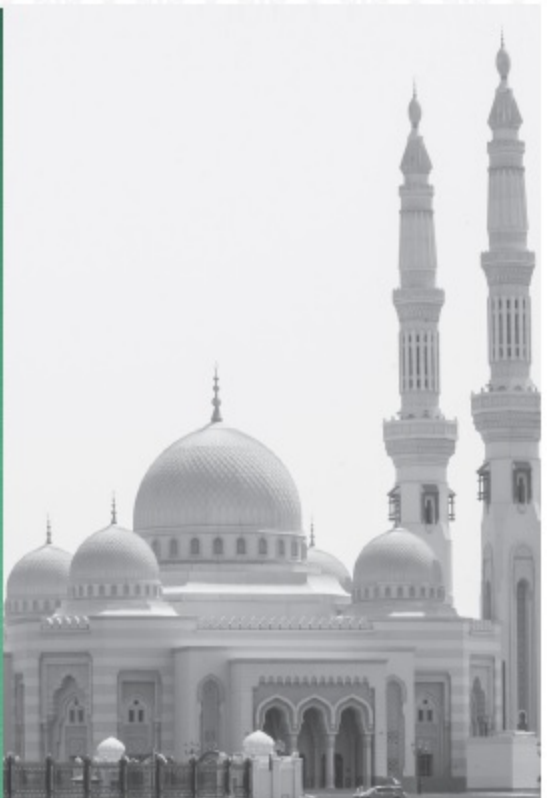

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

المجلد:2، العدد:1

ذو القعدة 1444هـ /يونيو 2023 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات: 2958-230X

AQU Journal of Arabic Language and Literature, Vol. 2 No. 1, pp. 63-102 (June 2023)
DOI:10.52747/aqujall.2.1.222
E-ISSN: 2958-2318/ ISSN 2958-230X

مشكلة أصوات التفخيم في العربية الفصحى واللهجات العربية البائدة: دراسة تاريخية مقارنة في صفاتها وأثرها في تشكيل البنية

THE ISSUE OF EMPHATIC PHONEMES IN CLASSICAL ARABIC AND EXTINCT ARABIC DIALECTS: A COMPARATIVE HISTORICAL STUDY OF THEIR CHARACTERISTICS AND INFLUENCE ON THE FORMATION OF WORD STRUCTURE[1]

آمنة الزعبي

كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الأردن

Amina Alzouaby

Faculty of Arts, Hashemite University, Jordan

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى عرض مشكلة من مشكلات تشكيل النظام الصوتي العربي تتعلّق بالأصوات المفخّمة، والتداخل الذي حدث بين هذه المكوّنات من حيث تشكيل بنية الكلمة العربية، وقد حاولت أن تقدّم حلا يفسر هذا التعدد في المخارج والصفات بين القدماء والمعاصرين، مستعملة المنهج الوصفي التحليلي أحيانا، والمنهج التاريخي المقارن أحيانا أخرى. تعرّضت الدراسة للتداخل بين الضاد المعيارية والضاد الضعيفة، والضاد والظاء، والطاء والضاد الحديثة، والطاء المجهورة والطاء المهموسة، وفسرّت بعض مظاهر التداخل بين هذه الأصوات، وكشفت عن أنّ الصاد ظلّت بمنأى عن التداخل مع هذه الأصوات المفخمة.

(1) Article received: March 2023, article accepted: May 2023.

Abstract:

This study seeks to elucidate a complex issue associated with the establishment of the Arabic phonetic system, specifically focusing on the subject of Velarized Phonemes. This field has been characterized by a substantial degree of overlap and diversity. The objective of the research is to propose a comprehensive solution to account for the variance in the articulation points and attributes of these phonemes, as noted by both ancient and modern scholars. The investigative approach adopted alternates between a descriptive analytical method and a historical comparative method to gain a more profound understanding of the topic. The study zeroes in on the intersection between the standard and soft (ḍād), as well as between ḍād and żā>, żā> and the contemporary ḍād, and further between the voiced żā> and unvoiced żā>. This research outlines some of the critical aspects of this overlap, while concurrently establishing that the ṡād has successfully avoided confluence with the velarized phonemes.

الكلمات الدالة: علم الأصوات المقارن، الصوتيات التاريخية، اللغويات، التحول الصوتي.

Keywords: Comparative Phonetics, Historical Phonetics, Linguistics, Phonetic Shift.

جدول بالرموز الصوتية المستعملة

1- رموز الأصوات الصحيحة:

ṭ	الطاء	>	الهمزة
Ż	الظاء	b	الباء
<	العين	t	التاء
Ġ	الغين	ṯ	الثاء
F	الفاء	ǧ	الجيم العربية
Q	القاف	ḥ	الحاء
K	الكاف	ḫ	الخاء
L	اللام	d	الدال
M	الميم	ḏ	الذال
N	النون	r	الراء
H	الهاء	z	الزاي
W	الواو	s	السين
Y	الياء	š	الشين
k̲	الخاء المتحولة عن كاف	ṡ	الصاد
G	الجيم المفردة (السامية)	ḍ	الضاد
b̲	الباء الاحتكاكية	ḍ̠	الضاد القديمة
Ġ	الجيم المتحولة إلى غين	đ	الضاد الضعيفة

2- رموز الحركات:

الفتحة القصيرة	a	الكسرة القصيرة الممالة	E
الفتحة الطويلة	ā	الكسرة الطويلة الممالة	Ē
الضمَّة القصيرة الخالصة	u	الكسرة المختلسة الممالة	É
الضمة الطويلة الخالصة	ū	الفتحة القصيرة المختلسة	Á
الضمة القصيرة الممالة	o	الضمة الممالة المختلسة	ó
الضمة الطويلة الممالة	ō	الفتحة المركَّبة	Ă
الكسرة القصيرة الخالصة	i	همزة الوصل	">"
الكسرة الطويلة الخالصة	ī		

مشكلة الدراسة:

يمكن لأيّ باحث في المكوّن الصوتيّ الصامتيّ أن يمرَّ بمشكلة تبدو أول وهلة غير قابلة للحلّ، ذلك أنَّه يجدُ وصفاً للضاد العربيّة الفصيحة يذكر أنّها احتكاكيّة، كما سيأتي عرضه، فيحكم أنّ هذه الضاد هناك، لا يمكن أن تكون جزءا من المكوّنات الصوتيّة العربيّة كما نعرفها الآن، ولكنّه أيضاً يجدُ وصفاً آخر لضادٍ أخرى لم تحقِّق شرط الفصاحة الذي أشار إليه العلماء القدماء[1]، وعلى رأسهم سيبويه وابن جني، وهو استعمالها في القرآن والشعر، ولو كانت هذه الضاد الضعيفة انفجارية لأمكن أن نقول إنَّ الضاد قد انتقلت إليها وحلّت

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، "الكتاب". تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت)،4:432؛ بن جني، أبو الفتح عثمان، "سر صناعة الإعراب". تحقيق: حسن هنداوي، (دمشق:دار القلم، 1985م)، 1: 46.

محلها وأخذت دورها في الاستعمال الصوتيّ المعياريّ للغة العربيّة، ولكنها بدت احتكاكيّة مثلها أيضاً.

وقد وقع المعاصرون بسبب هذا في مشكلة تأصيل صوت الضاد الحالية التي نراها تحتلّ مكان الصدارة في مكوِّنات النظام الصوتيّ العربيّ، وهي صوت انفجاري[1].

إنّ أهم ما يمكن أن يواجه الباحثين في الدرس الصوتي الوظيفي، هو هذا التداخل العجيب بين أصوات التفخيم وتغيراتها، وعندما ينظر إلى التغيُّرات فإنما يُنظر إلى الإمكانيات المتاحة لحدوث هذا التغيُّر في مواجهة قوانين التطور اللغويّ التي اهتدى إليها علم اللغة التاريخيّ في العربية وأخواتها من اللغات التي يُطْلَقُ عليها مصطلح اللغات الساميّة، فالضاد التي تعدُّ مكوِّناً من المكوِّنات العصيّة على كثير من أبناء اللغة العربيّة اليوم، ليست تلك الضاد التي كانت عصيّة أيضاً على أبناء لغة الضاد قديماً، زيادة على أنَّ الطاءَ صوتٌ لا يمكن أن يكون معزولاً عن تلك التطوُّرات والتغيُّرات التي أصابت صوتَ الضَّاد العربيّة القديمة، فقد أوجدت قوانين التغيُّر الصوتيّ ضاداً ضعيفةً، وضاداً "حديثة"[2] لا يُعرف متى وُلِدَت واستعملت على وجه التحديد، وإنما نطلق عليها مصطلح الضاد الحديثة تجوّزاً؛ لأنه مصطلح يقع في مواجهة الضاد القديمة.

ومن الممكن أن تزيد الدراسة على هذا أنَّه لا يمكن الفصلُ بين مكوّن الضَّاد القديمة، ومكوّن الظاء العربيّة التي تعدُّ من أقلِّ الأصوات دوراناً في

(1) بشر، كمال، "علم الأصوات". (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م)، ص253.

(2) لا يمكن تحديد المرحلة الزمنية التي استعملت فيها الضاد الحديثة، ولكن مصطلح الضاد الحديثة أطلق عليها؛ لأنها استعملت بعد فترة القيد اللغوي (بعد نزول القرآن)، ولم يتعرّض العلماء إلى مكوّن صوتيّ من مكونات نظامنا الصوتي يتعلّق بالضاد الانفجاريّة، وسيأتي بيان لما تطلق عليه صفات هذه الضاد فيما بعد، عند الحديث عن الطاء الفصيحة.

التشكيل الصرفي لبنية اللغة العربيّة، فلا يمكن لنا أن توصف هذه الظاء بمعزل عن تلك الضّاد التي أُطلِق عليها اسم الضّاد الضعيفة، وهو أمر أدَّى إلى وجود ظاهرة من الظواهر الغريبة التي تُدْرَس في موضوع التداخل الصوتيّ كما سيرد لاحقاً.

أسئلة الدراسة:

ستحاول هذه الدراسة أنْ تصلَ إلى إجاباتٍ ناجعةٍ عن الأسئلة الآتية: ما سرّ هذا التداخل العميق بين أصوات التفخيم العربيّة؟ وما الدافع الأول إلى هذا التداخل؟ وهل من سرٍّ يقف وراء الأعمال المعجميّة التي ترصد الألفاظَ المتداخلةَ التي تكونُ أصواتُ التفخيم من مكوِّناتها؟ وما أثر القيد اللغوي الذي قيَّد العربيّة في عدم ضياع أحد الأصوات المفخّمة من النظام الصوتيّ العربيّ على الرغمِ من صعوبتها؟

وإذا أجابت الدراسة على هذه الأسئلة الرئيسة وغيرها من الأسئلة الفرعيَّة، فإنها تكون قد وصلت إلى نتائج معينة، وأما المشكلة الكبرى، فتتمثَّلُ في السؤال الكبير الذي يحمله عنوان هذه الدراسة، وهو: هل يوجد تداخل في أصوات التفخيم في العربيّة؟

مادة الدراسة ومصادرها ومشكلات الحصول على المادة:

اللغات التي تعاني من مشكلةٍ تشبه مشكلاتِ اللغة العربيّة كثيرة، وأغلبُها من أرومة اللغات الساميّة البائدة، فهي لغات حرةٌ إلى حدٍّ كبير[1]، ولهذا، فإنّ

(1) عندما يقال إنّ هذه اللغات حرة، أو إنّ العربيّة مقيدة، فهذا لا يعني إضفاء صفاتٍ إيجابية أو سلبية على هذه أو تلك، بل إنّ لهذا أمراً علمياً محضاً، فاللغات الحرّة هي اللغات التي يسمح نظامها اللغوي بعمل قوانين التطور اللغوي المختلفة فيها دون وجود قيد من قيود المستويات المختلفة لها. كما هو الحال في الأكادية والكنعانيات، والإثيوبيّة الجعزيّة، وهذه الحرّية تعجّل من تطورها وتغيرها. وأما اللغات المقيّدة فهي اللغات المحكومة بقيد مقدّس كاللغة العربية المقيدة بمستويات لغة القرآن الكريم.

الحكم على هذه اللغات بمكوّناتها التي تُشَكِّل أنظمتها الصوتيّة، يكاد ينحصر في الأحكام القياسيّة التي تستند إلى الواقع الموجود الآن في هذه اللغات، وهو واقع يستند إلى النصوص المكتوبة فقط، ولعلّ هذا هو ما يُفَسِّر لنا طبيعة الدرس الساميّ عند المستشرقين، فقد أحسُّوا بأنّ هذه المشكلة ليس لها حلولٌ متاحةٌ حتى الآن، وهذا هو الذي أدّى بهم إلى انتهاج المنهج المقارن، فمشكلات المكوّنات الصوتيّةِ في لغةٍ ما، يمكن أن يبدأ حلُّها بدايةً تتَّسمُ بالقياس على اللغات الأخرى المكتملة، كالعربيّة والإثيوبيّة الجعزيّة والعبريّة، ولكنّ حلَّها حلاً صوتيّاً يعتمد على معطيات اللغة الواحدة أمرٌ يكاد يكون مستحيلاً، وسنجد أنَّ اللغة العربية واقعة في هذا الإشكال من حيث دراسة المكوّنات الصوتيّة التي تكوّنُ نظامها الصوتيّ في بعض أصواتها التي تطوَّرت وتغيَّرت، وليس في المكوّنات الثابتة في نظامها المعياريّ الحالي.

فمما يعمّق هذه المشكلة أنّ اللغة العربيّة تفتقر إلى كتابات (عربيّة خالصة) يمكن قراءتها في ضوء معطيات تلك الفترة التي ولدت فيها، والأمر ليس إشكالاً صوتيّاً محضاً، ولكنه إشكال تأصيليّ حسب، ولا يوجد الآن معاناة عند الدارسين من مسألة وجود نقوشٍ عربيةٍ تمثِّلُ أداءات لغويّةً تعود إلى أزمنة سحيقة، بل إنَّه يوجد منها الكثير مما يسمى كتابات اللهجات العربيّة البائدة، كالصفاويّة والثموديّة واللحيانيّة، ولكنّ هذه الكتابات التي كُتِبتْ بالخط العربيّ الجنوبيّ المعروف بالمسند، لا تقدّم فائدة تتجاوز الحكم عليها بأنَّها كانت تحتوي على الأصوات المفخّمة المذكورة (الضاد والظاء والطاء) زيادة على صوت الصاد الذي يبدو أنه لا يشكِّل مشكلة حتى الآن، وأما مساهمة هذه الأصوات في النظام الصوتيّ للهجات العربيّة البائدة، فجلُّ ما يمكن أن يقالَ إنها جزءٌ من هذه المنظومة العربية منذ القِدَم، بيد أنّه لا يُعْرَفُ كيف كانت تنطق، فهل نطقوا

الضاد الضعيفة أو الضاد العربيّة الفصيحة، أم إنهم نطقوا الضاد الانفجاريّة؟ وهذا بسبب أن هذه اللهجات تفتقر إلى عينات منطوقة ممثلة أو موصوفة في واقعها الاستعمالي.

وهل نطقوا الطاء صوتاً مجهوراً؟ أم إنّهم نطقوه صوتاً مهموساً كتلك التي أُطْلِقَ عليها اسم "الطّاء التي كالتاء"؟ ثم إنّ الباحثين مطالبون بتفسير هذه الطاء التي كالتاء؟ فهل تشبه هذه الطاء المرققة التي تُسْمَعُ اليومَ من أبناء الشرائح اللغويّة الاستعماليّة الحَضَريّة، أو التي تبالغ في تحضُّرها اللهجيّ محاكاة للهجات المدن فتنطقها على هيئة التاء؟

وعلى هذا، فمسألة توافر النقوش العربيّة القديمة ليست عائقاً أمام الحكم على النُّطْقِ، بل يتمثّل العائقُ في عدم وجود مادة حية مسموعة تمكّنُ من الحكم، فالنقوشُ تُمَثِّلُ مادةً تمنحُنا القدرة على الحكم العامّ بأنّ هذا الصوت أو ذاك كان موجوداً، ولكنها لا تخصص هذا الحكم بالوصف الصوتي، وزيادة على هذا، فإنّ العرب يومها لم يكونوا وصلوا إلى مرحلةِ التدوين، ولم يصلوا إليها إلا بعد نضج العقليّة العربيّة بعد نزول القرآن وانتشار الإسلام وطغيان الحاجة إلى التدوين في عهدٍ متأخرٍ نسبيّاً، ولو أنهم كانوا وصلوا إلى هذه المرحلة قبل الإسلام، لكان من الممكن توقّع إجراء دراسات على مستويات هذه اللهجاتِ البائدةِ.

وخلاصة هذا الأمر أنَّ الباحثين مضطرون لاستعمال الحكمِ العامّ الآتي: هذه المكوّناتُ الصوتيّةُ كانت موجودة في بنية النظام الصوتيّ العربيّ منذ ما قبلَ الإسلام، بدليل وجودها في هذه اللهجات البائدة: الصفاويّة والثموديّة واللحيانيّة، ولكنَّه لا يمكن الحكم على كيفية نطقها أو صفاتها الصوتيّة، بل لا يُعْرَفُ كيف كانت هذه الأصواتُ أو صفاتُها في المكوّن الصوتيّ العربيّ الذي

وصفَهُ سيبويه، على الرَّغم من أنّه كان مسموعاً، فالمعاصرون، والحقُّ يقال، لا يملكون مادة مسموعة يُعْتَمَدُ عليها.

منهج الدراسة ومكوناتها:

يبدو من عنوان هذه الدراسة أنّ المنهج اللازم لإجرائها هو المنهجُ التاريخيُّ المقارنُ الذي يمكن أنْ يبني إجراءات بعد تقصّي الأداءاتِ اللغويةِ اللازمةِ وجمعها من مصدرين رئيسين:

الأوَّل: اللغةُ العربيَّةُ وأداء النحويين العرب في توصيفها ابتداء من سيبويه، فضلاً عن شواهد الاستعمال المسجلة.

الثاني: المدوَّنات القديمة من أداءات اللهجات العربية البائدة، كاللهجات: الصفاويَّة والثموديَّة واللحيانيَّة، فضلاً عن أداءاتِ اللغاتِ الساميَّةِ الأُخرى كاللهجات الكنعانية المختلفة، ومنها العبريَّةُ، واللهجات الآراميَّة المتعدِّدة؛ ومنها السريانيَّةُ، واللهجات الأكاديَّة واللغة الإثيوبيَّة الجعزيَّة والعربيَّة الجنوبيَّة.

وبعد الفراغ من هذه الخطوة عمدت الدراسة إلى المنهجيَّة المتَّبعة في مثل هذه البحوث، فتحدثت عن مشكلة البحث، وأسئلة الدراسة التي ترغب في الإجابةِ عنها، ومادَّة الدراسة ومصادرها، ومشكلات الحصول على الاستعمالات اللغوية الضرورية، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، ومكونات مادة الدراسة، وهي الضاد والطاء والظاء والصاد، ومستوياتها الاستعماليَّة وتحوُّلاتها، مع الاستعانةِ ببعض الجداول التوضيحية الضرورية، ثم خُتِمَتِ الدراسة بخاتمة بَيَّنتْ أهم ما توصّلت إليه من نتائج.

الدراسات السابقة:

لا أحد يمكنه أن يقول إنّ دراسة هذه الأصوات المفخّمة أمر لم يحدث من قبل، ولكنّ الدراسات التي يمكن أن يشارَ إليها في هذا الموضع يجب أن تتحلى بالجانب التاريخيّ المقارن، ولهذا تشير الدراسة إلى تناولِ المرحوم ربحي كمال

أنماط الإبدال في هذه الأصوات في العربيّة ولغتين من اللغات السامية هما: العبريّة والسريانيّة، وكان تناوله للأنماط المدروسةِ تناولاً وصفيّاً معجميّاً مقارناً، واقتصر على هذه اللغات[1].

وأمّا عرضُ التشكيلِ الصوتيّ الصامتيّ والصائتيّ في دراسةٍ صوتيّةٍ وصفيّةٍ تحليليّة، فقد تناوله عدد كبير من علماء الأصوات العرب، على ضوء مناهجهم الدراسية التي درسوها، كالمنهج التحليلي الذي اتّبعه إبراهيم أنيس في كتابه: "الأصوات اللغويّة"، وكمال بشر في كتابه: علم اللغة العام، الأصوات العربيّة، الذي أعاد نشره موسّعاً في كتابه "علم الأصوات"، أو المنهج التاريخي المقارن الذي عمل فيه صلاح الدين حسنين في كتابه: "المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة"، أو المنهج التعليمي عند مدرسي الأصوات في الجامعات العربيّة، وغير ذلك من المناهجِ والتوجُّهات العلميّة التي قدّمت الشيء الكثير للدرس الصوتيّ الحديث والقديم.

ولكنّ هذه الدراسات لم تعنَ عناية خاصة بالتداخل الحادث بين المكونات الصوتيّة المفخّمة الثلاثة (ما عدا الصاد التي لا تداخل فيها)، وقد كانت التغيُّراتُ التي أدّت إلى هذا التداخل ناتجة عن قوانين اختياريّة في اللغة العربيّة، ولو كانت إجباريّةً لأدَّت إلى ضياعِ بعضِ هذه الأصوات من النظام الصوتيّ العربيّ ومكوّناته الصامتيّة كما حدث في اللغات الساميّة التي صار صوتُ الصاد فيها مآلاً لبعضها، ومن ثَمَّ نقص عدد مكوّناتها الصامتيّة حتى بلغَ عددها اثنين وعشرين مكوّناً صامتيًّا فقط، في المجموعتين: الكنعانيّة بما فيها العبريّة، والآراميّة بما فيها السريانيّة، وربما كان أقلَّ من ذلك كما في المجموعة الأكاديّة.

ويمكن لهذه الدراسة أن تذكر نوعين من الدراسات في هذا الصدد، يتعلّق

(1) ينظر: ربحي كمال، "الإبدال في ضوء اللغات السامية". (بيروت: منشورات جامعة بيروت العربية، 1980م).

النوع الأول بدراسات هذا الموضوع، وبعضها دراسات عربية تمتاز بالأصالة وردت عند العلماء القدماء، أورد بعضها حاتم الضامن في سلسلة كتب الضاد والظاء، نورد منها:

– كيفية أداء الضاد لـ (محمد المرعشي) الملقب بـ (ساجقلي زادة).

– الضاد والظاء لأبي الفرَج النحوي.

– الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، لـ (ابن مالك) وذكر في مصادر أخرى باسم الاعتضاد وهو الكتاب المطبوع قبل النشرة المذكورة.

– الظاء لأبي الحجاج المقدسي.

– المصباح في الفرق بين الضاد والظاء في القرآن الكريم، لأبي العباس الحرّاني.

وتتراوح هذه العناوين بين الرسائل القصيرة والكتب المتوسطة، وقد نشرتها دار البشائر بدمشق. في عام 2003.

ومن المؤلفات من غير ما نشر في هذه السلسلة ما يُطلق عليه (تراث الضاد والظاء)، ومن الكتب المهمة في هذا التراث:

– مختصر في الفرق بين الضاد والظاء لمحمد بن نشوان الحميري.

– الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي حيان الأندلسي.

– الفرق بين الضاد والظاء للصاحب بن عباد.

– زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي البركات الأنباري.

وغير هذه الكتب[1].

والنوع الآخر هو دراسات تتَّصف بالحداثة وردت على أقلام بعض

(1) وهي مؤلفات منشورة، وفي العموم، فإنها تتحدث عن الفرق بين نطق صوتين قد يحدث بينهما تداخل في النطق بسبب تداخل الصفات بينهما، ولكننا لا نجد فيها حديثاً عن الصاد والظاء مثلاً؛ لأنها مؤلفات كانت معنية بالتفريق بين هذين الصوتين فقط، فضلاً عن أنها كتب تراثية.

الباحثين، وخصوصاً من علماء فقه اللغة من المستشرقين وبعض الباحثين العرب، والذي يجمع هذه الدراسات هو أنَّها كانت معنيَّةً باللغات السامية، مع تركيزها على اللغات التي خلت من أغلب أصوات التفخيم، كالعبرية والآرامية والأكادية التي لم تعد تهتمُّ بالضاد والظاء؛ لأنها لم تعدْ من مكوِّناتها الصوتيَّةِ، ولم يتبقَّ ضمن مكوناتها الصوتية إلا الصاد والطاء، ومن أشهرها كتاب: "فقه اللغات السامية" لكارل بروكلمان[1] الذي وزّع اهتمامه على اللغات السامية عامَّةً، ولم يختصَّ لغة بعينها في كتابه.

وكان صلاح الدين صالح حسنين قد وضع كتاباً في المكوِّنات الصوتيَّةِ للنظام العربيّ، وهو كتاب: المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة، تحدَّث فيه عن مكونات النظام الصوتي العربي عامَّة، وأورد أمثلة مقارنة من بعض اللغات السامية، بيد أنَّه لم يتطرق إلا إلى اللغات العبرية والسريانية والحبشية والأكادية، ولم يورد شيئاً عن اللهجات العربية البائدة أو العربية الجنوبية واللهجات الأخرى غير ما ذكرنا[2].

ونشر رمضان عبد التواب مقالة بعنوان: مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء، بحث فيها الاختلاط الصوتي بين أشكال الضاد العربية: الضاد الفصيحة والضاد الضعيفة، ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي[3].

أما الدراسات التي بحثت النِّظامَ الصوتيَّ العربيَّ الفصيح بمعزل عن نظائره في اللهجات العربية البائدة: الصفاوية والثمودية واللحيانية، فهي كثيرة، إذ وضع

---

(1) بروكلمان، كارل، "فقه اللغات السامية" نقله إلى العربية: رمضان عبدالتواب، (الرياض: منشورات جامعة الرياض، 1977م)، ص39 وكان حديثه مختصراً جداً.

(2) حسنين، صلاح الدين ، "المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة". (القاهرة: دار الاتحاد العربي، 1981م)، ص113، 120-121، 130.

(3) عبد التواب، رمضان ، "مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء". (*مجلة المجمع العلمي العراقي*، المجلد 21، (1971).

كمال بشر كتابه الموسع: علم الأصوات، الذي تحدّث حديثاً وافياً عن النظام الصوتي العربي فقط[1]، وكان دراسة تحليلية في علم الأصوات.

وأورد تمام حسان فصلاً في كتابه: مناهج البحث في اللغة. وكان حديثه عن منهجين: منهج الأصوات (الفوناتيك) ومنهج التشكيل الصوتي (الفونولوجي)، وكان بحث هذين الفصلين تحليلياً، ولم يستعمل المنهج المقارن فيما يخصُّ اللغات السامية أو اللهجات العربية البائدة[2].

ومن الكتب المهمة في علم الأصوات التي وصفت أصوات التفخيم في النظام الصوتي العربي الفصيح دون مقارنة أو دراسة تاريخية كتاب: دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر، وفيه حديث يحيط بهذا النظام وفقاً للمخابر الصوتية والدراسات الغربية الحديثة، أحاط فيه بعلم الأصوات الأكوستيكي، ثم علم الأصوات السمعي، وعلم الأصوات التجريبي والفونيمات التي تشكّل أصوات العربية الفصحى، وتوزيع الفونيمات مخرجياً، والفونيمات فوق التركيبية (التطريزات أو البروسودات) وغيرها مما يخصُّ قوانين أصوات العربية والمكونات المقطعية[3]. غير أنَّه لم يخصَّ أصوات التفخيم بحديث مقارن أو تاريخي، بل كان حديثه عنها وصفياً تحليلياً عامًّا كحديثه عن المكونات الصوتية الأخرى.

ويمكن أن نشير إلى عددٍ كبيرٍ من الدراساتِ الصوتيَّةِ الأخرى التي لا يمكن أن تكون ضمن المنهج المقارن، كدراسة جان كانتينو الموسومة: دروس في علم أصوات اللغة العربية الذي نقله إلى العربية صالح القرمادي، ونشره في تونس عام 1966، وكتاب أصوات اللغة لعبد الرحمن أيوب الذي نشره في القاهرة عام

(1) وهو كتاب "علم الأصوات". (القاهرة: دار غريب، 2000م) وهو توسُّع وتفصيل لكتابه: علم اللغة العام، الأصوات العربية.

(2) تمّام، حسان، "مناهج البحث في اللغة". (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م)، ص59-110،"المنهج الصوتي-الفوناتيك" ص111-169، و"منهج التشكيل الصوتي الفونولوجي".

(3) عمر، أحمد مختار ، "دراسة الصوت اللغوي". (القاهرة: عالم الكتب، 1991م).

1968، وغيرها أيضاً من كتب الأصوات التي بحثت النظام الصوتي للغة العربية في ضوء علم الأصوات الحديث.

أوصاف الضاد والطاء والظاء والصاد في العربيّة ومستوياتها:

إنّ أوّل ما يوجد في هذا الأمر هو تعدُّدُ مستويات أوصاف الضَّاد والطّاء خاصةً، مع احتفاظ الظاء بمستوى صوتيّ واحد لعلّه ما نستعمله اليوم، ولعله ما كانت العربيّة تستعمله عبر عصورها المختلفة.

المكونات الصوتيّة المفخّمة في اللغة العربيّة:

إذا أخذت الدراسة بمبدأ الثنائيات الصوتيّة، فإنّ المكونات المفخّمة في اللغة العربيّة هي أربعة مكوّنات صامتيّة، هي الطَّاء التي وصفها القدماء بأنها مفخّم الدال[1]، وهي النظير المفخّم للتاء من وجهة نظر علم الأصوات المعاصر وفقاً لوصف الطاء الحديثة[2]، والضاد الحديثة الانفجاريّة، وهي النظير المفخّم للدال[3]، وأما الضاد التي وصفها القدماء، فليس لها نظير مرقُّق من جنسها في الأصوات العربيّة أو الساميّة المعروفة لنا، والظاء، وهي النظير المفخّم للذال، والصاد وهي النظير المفخّم للسين.

الصوت المفخم	رمزه الصوتي	نظيره المرقق عند القدماء	نظيره المرقق عندنا
الضاد القديمة	ɖ	لا نظير لها	لا نظير لها

(1) سيبويه، "الكتاب"، 4: 436.

(2) هذا ما تؤكّده صفاتها عند المعاصرين، فالطاء الآن صوت لثويٌّ أسناني مفخّم مهموس، فإذا وصفنا التاء، فسنقول إنها صوت لثويٌّ أسنانيّ مرقق مهموس، ينظر: كمال بشر، "علم اللغة العام، الأصوات العربية"، ص102، وينظر: محيي الدين رمضان، "في صوتيات اللغة العربية"، ص140، وينظر أيضاً:

Al- Ani, S., Arabic Phonology, Acoustic and Phonological Investigation, P. 45.

(3) ينظر: بشر ، كمال ، "علم اللغة العام، الأصوات العربية"، 100-104.

الضاد الضعيفة	Ð	الذال	الذال
الضاد الحديثة	ḍ	ليست موجودة عندهم	الدال
الظاء	Ż	الذال	الذال
الطاء	ṭ	الدال	التاء
الصاد	ṡ	السين	السين

جدول يبين أصوات التفخيم بين العربية الفصحى في معيار القدماء والعربية الفصحى في العصور المتأخرة

– صوت الضاد

الحقيقة أنَّ نظرةً إلى هذا الجدول ستقود إلى القول بأنَّ صوت الضّاد يمثّل المشكلة الكبرى في الأصوات العربيّة من وجهة نظر مناهج التحليل اللغويّ، لا من وجهة نظر الاستعمال اللغويّ نفسه، إذ إنّ الباحثين أمام ثلاثة أصوات تمثّل نطق العرب لصوت الضاد، وأما الأصوات المفخّمة الأخرى فلا تقع في أيّ إشكال في عملية الوصف الصوتيّ للنظام العربيّ إلا إذا اقترن الوصف بالضاد نفسها، وأما الصاد فمشكلتها في ذاتها، إذ إنها لا تسبّب أي إشكال إلا من جهة صفة التفخيم نفسها، فهي (فونيم) مستقل بتفخيمه، وأما في بعض اللغات الهندو–أوروبية فوجودها لا يعدو أن يكون تلويناً ألوفونيّاً (ألوفون)، كما في نطق الكلمة الإنجليزية some أو sun فهي سين وقعت في بنية سياقيّة جعلتها تلويناً ألوفونيّاً، وبدت كما لو أنها صاد، وإلا فإنّ فونيم الصاد ليس موجوداً في الإنجليزية.

فأمَّا الضَّادُ القديمةُ، كما يمكن أن يُطلقَ عليها تجوّزاً، فهي الضاد التي وصفها سيبويه، وتابعه على وصفها العلماء القدماء، فهي صوتٌ ليس له نظير في الترقيق من الأصوات العربية، أو التحفُّق في لغة أخرى غير العربية التي توصف عند الباحثين على هيئتها الصوتيّة الآن، فهي صوتٌ قريبٌ من اللام

المفخّمة من حيث الجانبيّة أو الانحرافيّة، وقريب من الظاء أيضاً من حيث التفخيم والاحتكاك، ولكنه يفارقه من حيث الانحراف، ولقد رُوِيَ عن بعض العرب أنه اقترب من اللام قرباً كبيراً في قول الشاعر:

مال إلى أرطاة حَقْفٍ فالطجع[1]

أي: مال إلى أرطاة حَقْفٍ فاضطجع، ولكنَّ قربَ مخرجِ الضَّادِ القديمةِ من اللام، جعل الكلمة تبدو كما لو كانت باللام (فالطجع)[2]، ولقد أورد صلاح حسنين أنّ اللغة الإسبانيّة ما زالت إلى يومنا هذا تحتفظ بوجود اللام في مكوّنات الكلمة التي دخلت في لغتهم من أصول عربية، وكانت الضاد تشكّل أحدَ مكوّناتها الصوتيّة، كما في كلمة ***alcaldi*** التي تعني (القاضي)، وغيرها من الكلمات[3].

وينبغي الحذر من مسألة النطق العربيّ الأصيل، فلا أحد سمعه ونقله إلينا إلا عن طريق الوصف، وقد أشار سيبويه نفسه إلى مسألة مهمَّة جداً بشأن المكوّنات الصوتيّة العربيّة، فهو يرى أنَّ "الحروف" الاثنين والأربعين (الجيد منها والرديء) لا يمكن أن نتبيّنها إلا بالمشافهة، أي: السماع عن العرب أنفسهم[4].

ويمكن أن يقال إنّ هذا الصوتَ "الضاد" الآن غير موجود، ولو أننا نسمع من بعضهم أنه موجود عند بعض مجيدي القرآن، ولكن ليس إذا ملأوا حجرة الفم بالهواء، وراعوا صفة الاحتكاك في نطقهم إياها، فإنهم يجيدون نطقه كما

(1) ابن جني، "الخصائص"، 1: 263، 3: 163، وينظر: ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، 1: 321، وابن يعيش، "شرح المفصل"، 10: 45، ورُوي أنّه لمنظور بن مرثد الأسدي.

(2) ربما كان هذا ناتجاً عن الانحراف الذي يقرّب الضاد القديمة من اللام، والتفخيم والاحتكاك اللذين يقربانها من الظاء.

(3) حسنين، صلاح الدين ، "المدخل إلى علم الأصوات"، ص100، وينظر أيضا: برجشتراسر، "التطور النحوي للغة العربية"، ص10-11.

(4) سيبويه، "الكتاب"، 4: 432.

كان يُنطق، وليس هذا مما يمكن أن تكون العربيّة استحقّت انطلاقاً منه أن تُسَمَّى لغةَ الضّاد، ولهذا، فإنّ الضاد الأصليّة ماتت دون أن يُحْتَفَظَ منها إلا بالوصف الغامض والأخبار غير الواضحة، فأين الذي يمكن أن يجيدها كما كان العرب يفعلون عند نطق الضاد الضعيفة مثلاً فَتُتَكَلَّف من أي الشدقين شاءوا[1]، من اليمين أو اليسار؟، إنّ هذا الوصف الإضافي عند سيبويه، هو الذي يحدّ من الحكمِ على الضَّادِ الضَّعيفةِ بأنَّها كالظّاء تماماً، فالظَّاء لا تتكلف من اليمين أو اليسار، بل إنها أماميّة، ولكنها تبقى مع ذلك أقربَ الأصواتِ إلى الضّاد، مما يفسِّر اختلاطهما معاً.

وعندما يقال إنَّها الضاد القديمة، فإنَّ الدراسةَ تتحفَّظ على الاستعمال؛ لأنها ضمنَ المكوِّنات المعياريّة للغة العربيّة الفصحى، فقد أورد العلماء القدماء وعلى رأسهم سيبويه أنَّ العربية كانت تحتوي على ضادٍ أخرى، وقد أطلقوا عليها اسم "الضاد الضعيفة"؛ ولهذا، فهي تشاركها في القِدم، ولكنها لم تدخل في تلك المكوِّنات المعيارية التي أشاروا إليها، بل كانت من ضمن استعمال العرب الذين وُصفوا بأنهم (ممن لا ترتضى عربيتهم)[2]، أي أنها لم تكن تدخلُ في تلاوة القرآن أو إنشاد الشعر، وهما معيار الفصاحة عند العلماء[3]، وقد ظلّت هذه الضّاد صوتاً احتكاكيّاً.

وأمّا الضّاد الضعيفة عند القدماء، فصوت غير معروف من حيث وصفُهُمْ، ولا يمكنُ تحديد اختلافه عن الضاد القديمة أو الظاء اعتماداً على هذا الوصف الوارد عندهم، فهم مهتمُّون بمعيار وجوده في الاستعمال الذي عدوه فصيحاً،

(1) سيبويه، "الكتاب"، 4: 432، ويقال إنَّ عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– كان ينطقها من أيّ الشدقين شاء.

(2) المصدر نفسه: 4: 432.

(3) المصدر نفسه: 4: 432.

وبه يُقْرَأُ القرآنُ ويُنْشَدُ الشعرُ، ولكن يبدو أنّه انتقل إلى المخْرَجِ الأماميّ بعد تخليه بعض الشيء عن الصفة الانحرافية التي كانت تقرّبُهُ من اللام المفَخَّمَةِ، وإنما قلنا هذا؛ لأنّ وجود الاختلاط بين الظاء والضاد بدا ظاهراً في اللغة العربية، حتى إنّ العلماء قد وضعوا معاجم رصدوا فيها الأنماط التي اختلط فيها نطق الصوتين معاً[1]، وهو أمرٌ بدا عسيراً إلى حدٍّ ما على الدراسات التحليليّة، فقد ذهبوا إلى احتماله الوجه الدلالي وحَمْلِ كلّ مادة على جذر مختلف عن جذرِ الكلمةِ الأخرى.

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾(التكوير: 24)، قرأ عثمان بن عفان وعبدالله بن عباس والحسن البصري وأبو رجاء العطاردي والأعرج وأبو جعفر وشيبة وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت ويحيى بن وثّاب والأعمش ونافع وحمزة وابن عامر وعاصم: بضنين بالضاد، وقرأ عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس أيضاً وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعائشة أم المؤمنين وعمر بن عبدالعزيز القارئ وعروة وابن جبير وهشام بن جندب ومجاهد ويعقوب ورويس وروح من طريق ابن مهران وزِرُّ بن حبيش وابن كثير وأبو عمرو بن العلاء والكسائي وابن محيصن واليزيدي: بظنين بالظاء[2]، وكان المرجّح في بعض الآراءِ أنْ تكونَ "بظنين" من الظنّ، و"بضنين" من الضنّ وهو البخل[3].

ولكننا نرجّح أنَّ هذا لايتأتَّى من الجذرين (ظ ن ن) و(ض ن ن)، ولكنَّه اتفاقٌ حدث لكثيرٍ من مفردات المعجم الاستعماليّ العربيّ، ودفع هذا الاتفاق

(1) وقد ذُكِرَ هذا في الحديث عن الدراسات السابقة.

(2) ينظر: الأندلسي، أبو حيان، "البحر المحيط"، 8 :435، ومكي ابن أبي طالب القيسي، "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"، 2: 364، وينظر أيضاً: ابن مجاهد، "السبعة في القراءات"، ص673.

(3) ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، 4: 225.

بعلماء العربيّة إلى أن يفردوا له مصنفات خاصَّة به ليست قليلة.

على أنَّ القدماء لم يتطرّقوا إلى الضاد الانفجاريّة أبداً، ولم يعتقدوا بها؛ مما يشير إلى أنها نشأت بعد أن استقر الدرس الصوتيّ العربيّ على الضاد بصورتيها: الأولى التي وصفها سيبويه بالفصاحة، والثانية التي أشار إلى أنَّها لا تكون في تلاوة القرآن أو إنشاد الشعر، وأنَّها ليست موجودة في لغة من تُرْتَضى عربيته، وثمّة ما يشير إلى أنَّ وصفها الحالي: انفجاريّ مفخّم لثويّ أسنانيّ مجهور[1]، كان هو وصف صوت الطاء نفسه الذي ذكره سيبويه[2]، وأما الطاء المهموسة، فقد عبّر عنها سيبويه بأنها "الطّاء التي كالتّاء"، وهو صوتٌ غير صادر عمن ترتضى عربيته وفقاً لرأي سيبويه[3].

الضاد في اللهجات العربيّة البائدة

لا شكّ في أنَّ الضَّادَ كانت موجودة في بنية النِّظام الصوتيّ العربيّ منذ زمن بعيد، فهي مُمَثَّلةٌ في اللهجات العربيّة تمثيلاً واضحاً، فمسألةُ وجودِ النقوش التي تدعم وجودها ليست المعضلة في هذا الشأن، ولكنَّ المعضلة تتمثَّل في أنَّ هذه اللهجات ستظلُّ مفتقرة إلى أمثلة متداولة استعمالياً منطوقةً أو موصوفة في تداول هذه الأقوام العربية؛ لأنها ظلَّت غير مدروسة إلى عهد قريب، فمشكلة الضاد فيها قائمة على الحكمِ العامّ بأنَّها كانت موجودة في بنيتها الصوتية، ولكنّ صفتها وانتماءها إلى أصناف الأصوات الأخرى ستبقى ماثلة إلى الأبد.

فمن أمثلة وجودها في النظام الصوتيّ للصفاويّة مثلاً: ḍ>n أي: ضأن[4]،

(1) ينظر: بشر كمال ، "علم اللغة العام، الأصوات العربية"، ص119، وينظر أيضاً: Al-Ani, S., Arabic Phonology, P. 48.

(2) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، 4: 434.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 4: 432.

(4) Winnett and Harding, Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, No.578.

و ḍrḥ أي: ضريح[1]، و ḍ<f من معنى "ضعف"[2]، و ḍf أي: ضاف (من الضيافة)[3]، و rḍy بمعنى الفعل "رضي"[4]، وغيرها كثير.

وأما اللهجة العربيّة الثموديّة، فقد أوردت عدداً ليس قليلاً من الأداءات الاستعمالية التي وظَّفت الضاد في بنيتها[5]، كما في كلمة ḥḍn أي: حَضَنَ[6]، و<rḍ أي: رَضِيَ[7]، والهمزة التي تبدو في آخرها هي علامةٌ مديّةٌ تُمثِّلُ الألف على الأرجح، وقد وصلت الأداءات العربيّة إلى القول (رُضا)، بدلاً من المبني لما لم يُسَمَّ فاعله من الفعل (رَضِيَ) الذي ظلَّ على حالته، وكان الأصل (رُضِيَ). ولكنه وصل إلى مرحلة الفتح الخالص، وهي المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الأفعال المعتلة[8]، وقد أورد سيبويه ما يؤكّد أن الفعل (رَضِيَ) قد وصل إلى مرحلة الفتح الخالص، وأيَّدَ كلامه بشاهد زيد الخيل الطائي:

أفي كلِّ عام مأتمٌ تُقيمونَهُ على مِحْمَرٍ ثَوَّبْتُمُوه وما رُضا[9]

فقال (رضا) وهي لهجة طيئ وفقاً للمصادر اللغويّة[10].

---

(1) Littmann, Semitic Insciptions, Safaitic Inscriptions, 1943, (1943), No. 201.

(2) Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, No. 1677b.

(3) Littmann, Semitic Insciptions, Safaitic Inscriptions, 1943, No. 157, 674.

(4) Winnett and Harding, Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, No. 149.

(5) ينظر: الزعبي، آمنة ، "اللهجة العربيّة الثموديّة، دراسة تاريخيّة مقارنة في الأصوات والأبنية والدلالات في ضوء الفصحى واللغات الساميّة".(عالم الكتب الحديث، 2006م) ص158-161.

(6) Winnett, Studies in Thamudic, No. 91.

(7) Jaussen and Savignac, Mission archeologique en Arabie, No. 658.

(8) الكناعنة، عبد الله، "أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربيّة". (عمّان: مطبوعات وزارة الثقافة،1997م)، ص76.

(9) زيد الخيل الطائي، "ديوان زيد الخيل الطائي". تحقيق: نوري حمودي القيسي،(النجف: مطبعة النعمان) ص25.

(10) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، 1: 129 برواية (تبعثونه) بدلاً من (تقيمونه) (والبيت في الكتاب منسوب إلى زيد الخير وهو اسم الشاعر في الإسلام) وفي 4: 187-188 أورد اسمه (زيد الخيل).

ومنها أيضاً <ḍb بمعنى ضبأ أو اختبأ، وإذا كانت اسماً فهي بمعنى محارب[1]، وجاء هذا الاستعمال في اللغة العربيّة الفصحى[2].

والأمثلة الواردة فيها كثيرة لا تهدف هذه الدراسة إلى إحصائها أو حصرها، ولكنها تثبت أمراً مهمّاً، هو أنَّ الضاد كانت مُمَثَّلَةً في هذه اللهجة، وإنْ كان هذا التمثيل لا يُقَدِّمُ فكرة عن صفاتها الصوتية فيها.

وأما اللهجة العربيّة اللحيانيّة، فإنّ أمرَ الضّاد فيها لا يختلف عما في الصفاويّة والثموديّة، ففيها: ḍmd وهو اسم علم، وربما كان (ضامد)[3]، و ḍbyh أي: ضبية[4]، وهو اسم علم مؤنث، و ḍny أي: ضني، وهو اسم علم مذكّر[5]. وأما دورها خارج المجموعة العربيّة الشماليّة، فإنَّه يمكن قسمةُ اللغاتِ الساميّة إلى قسمين في هذا المجال:

القسم الأوّل: هو القسم الذي حافظ على وجودِ الضّادِ محافظةً عامَّةً، وظلَّ الصوت ممثلاً في الأنماط التي وصلت إلينا، كالعربيّة الجنوبيّة والإثيوبيّة الجعزيّة، فقد جاء في العربيّة الجنوبيّة ḍb>t بمعنى حملة عسكرية أو هجمة أو معركة (ضبأة حرفياً)، وتأتي بمعنى جند أو أجياش (ضبآت حرفياً)[6].

(1) Huber, Journal d'un voyage en Arabie, No. 4707, 719.

(2) ابن منظور، "لسان العرب". (بيروت: دار صادر، 1955م)، مادة (ض ب أ) 1: 110. وينظر: آمنة الزعبي، "اللهجة العربيّة الثموديّة"، ص159.

(3) أبو الحسن، حسين ، "قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا". (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد، 1997م) ص92.

(4) المرجع نفسه: ص176.

(5) المرجع نفسه: ص195.

(6) Beeston, (et al), Sabaic Dictionary, P. 40.

وأما الإثيوبيّة الجعزيّة فقد تحوّل الصوت فيها تحوّلاً مقيّداً إلى الصاد[1]، واحتفظ معجمها بكثير من الأنماط التي حافظت على مكوّن الضاد فيها، ومنها: >ḍeb أي: ضَبُع، ويجمع فيها على >aḍbā<āt أي: ضباع[2]، ووجود هذا الجمع يؤكّدُ تأنيثَ لفظ (ضَبُع) في العربيّة أيضاً.

وفيها أيضاً ḍamada و śamada بالضّاد والصّاد، وهما صيغتان بديلتان أو اختياريتان (Alternative forms) بمعنى واحد وهو التضميد والربط[3].

وأمَّا اللغاتُ الأخرى، فلم يعدْ مكوّنُ الضَّادِ الأصليّ موجوداً فيها بأيّ صورةٍ من صُوَرِهِ التي عرفناها في اللغة العربيّة الموصوفة علميّاً، فقد تحوّلَ إلى صاد في اللغة الأكاديّة، وهو التحوُّل نفسه في الكنعانيات: الكنعانيّة والپونيّة والأوغاريتيّة والعبريّة والمؤابيّة والعمونيّة، وتحوّل إلى القاف في الآراميات القديمة، ولكنه تحوّل تحوّلاً غريباً في السريانيّة إلى العين، على الرغم مما بين الضاد والعين من التباعد، إلا إذا كان التحوّلُ من اللهجات الآراميّة التي حوّلته إلى القاف، وعندها يبدو التحوّل مستساغاً إلى حدٍّ ما، وبدأ بالتحوّل الحاد إلى الصاد في اللغة الإثيوبيّة الجعزيّة، وإن لم يصل تحوُّلُهُ إلى الصورة المطلقة.

ويبدو أنّ العربيّة قد سارت في طريق تحويله إلى الصّاد أيضاً، بدليل وجود عدد كبير من الأنماط التي كان جذرها مشتركاً بين الضاد والصاد، من مثل: البُصَيْعُ والبُضَيْعُ، وهو البحر[4]، وحَفَصَ وحَفَضَ، بمعنى ألقى الشيء من

(1) معنى التحوّل المقيد هو تحوّل صفة من صفات الصوت أو أكثر في بعض السياقات الاستعماليّة، وهذا يعني أن اللغة تحتفظ بصورتين: الصورة الأصلية والصورة المتحوّلة التي يمكن أن تكون تلويناً صوتيّاً (ألوفونياً).

(2) Leslau, W., Comparative Dictionary of Ge<ez, P. 147.

(3) Leslau, W., Comparative Dictionary of Ge<ez, P. 149.

(4) ابن منظور، "لسان العرب"، (ب ص ع) 8: 12، و(ب ض ع) 8: 16.

يده[1]، والمرضافة والمرصافة، وهي آلة من آلات الضرب[2]، وغيرها كثير.

تحولات صوت الضاد في اللغات الساميّة الرئيسيّة وبعض الفروع:

العربيّة	الكنعانيّة ولهجاتها	الأوغاريتيّة	العبرية	الآراميّة القديمة
ḍ الضاد	ṡ صاد	ṡ صاد	ṡ **صاد**	q/ṡ القاف والصاد

السريانيّة	النبطيّة	الأكاديّة	العربيّة الجنوبيّة	الإثيوبيّة
< **العين**	</ṡ **العين والصاد**	ṡ **الصاد**	ḍ **الضاد**	ṡ/ḍ **الضاد والصاد**

جدول يبين استعمال صوت الصاد وتحولاتها في العربية واللغات السامية

والملاحظ على هذا الجدول أنَّ الضّادَ العربيَّة تحوّلت إلى صوت الصَّاد في كلٍّ من الكنعانية ولهجاتها المختلفة كالمؤابية والعمونية والبونية، كما تحولت إلى صاد أيضاً في اللهجتين الكنعانيتين الأُخريين: الأوغاريتية والعبرية، وأما الآرامية القديمة، فيُلاحظ أنها تحوّلت فيها أولاً إلى صاد كما في الكنعانيات، ولكنها لم تُبْقِ على هذا التحوُّل، بل نُقِلَتْ إلى صوت آخر، وهو صوت القاف.

وجاءت اللهجة السريانية لتحوّله إلى عين في جميع الأحوال، إلا في الكلمات التي يكون فيها صوت العين أصلاً من أصول الكلمة مثل (ضلع)، فهي تحوّل الضاد إلى عين ولكنها تحوّله في مثل هذه الكلمة إلى همزة، على سبيل المخالفة.، فيصبح el<ā<.

وأما النبطية، من المجموعة الآرامية المتأثرة بالعربية (لهجة مرحلية Intra-

(1) المصدر نفسه: (ح ف ص) 7: 16، و(ح ف ض) 7: 137.

(2) المصدر نفسه: (ر ض ف) 9: 122.

dialect) فقد ورد الصوتُ فيها على صورتي الصاد والعين، ولم يرد على صورة ضاد الذي لم يمثِّله الأنباط في كتاباتهم، وجاء في الأكادية على صورة واحدة، وهي صورة الصّاد، وأمَّا الإثيوبية الجعزية فقد جاء فيها بصورتين، وهما: الضّاد والصّاد، وهو أمرٌ يشير إلى تحوُّل صوتيٍّ مقيَّدٍ حافظت فيه على الأصل، ولكنها أيضاً بدأت تتوجَّه إلى إبدال الصاد منه.

ويمكن لهذه الدراسة أن تسجِّل ملاحظة أخرى على هذه التحوّلات، فقد كان أغلبها قد تحوَّلَ إلى صوت الصّاد المهموسة التي لم يقع فيها خلاف في الوصف عند علماء العربية من حيث الهمس، والضّاد كما وُصِفت لنا في سائر صوُرِها، كانت وما زالت، صوتاً مجهوراً، فلماذا لم تتحوّل الضاد إلى صوت مجهور؟ فهل يمكنُ استنتاج أنها كانت في الأصل مهموسةً أيضاً؟ وهذا يظلُّ احتمالاً حتى يُعْثَرَ على أمثلة استعماليةٍ تؤيده أو تنفيه.

لقد استنتج بروكلمان في فقه اللغات الساميّة أنّ الظّاء كانت صوتاً مهموساً (ثاء مفخّمة) مستدلاً بتحولاتها إلى أصوات مهموسة أيضاً[1].

هل يمكن حلّ الإشكال الواقع في أثر الضّاد في تشكيل البنية؟

إنّه تساؤلٌ مشروعٌ يفرض نفسه عند دراسة النظام الصوتيّ للغة العربيّة وما يقابلها من النظم الصوتيّة للهجات العربيّة البائدة، وما أُثْبِتَ مكوّنُ الضَّادِ في بنيته الصوتيّة من اللغات الساميّة، واللغة الوحيدة التي يمكن الاعتمادُ على وجود الضاد فيها، وهي موصوفة ومدروسة درساً عميقاً، هي العربيّة، ولكنّ ما يشوب هذا الأمر هو أنّ الضّاد في العربيّة صوتٌ متدرّج على النحو الآتي:

الضاد الفصيحة "جانبية احتكاكية" > **الضاد الضعيفة** "أمامية احتكاكية" > **الضاد الحديثة** "انفجارية".

وهذا المخطط لا يعني أنّ الدراسة ترُتبُّ الضَّادَ وفق مراحل تاريخيّة، بل هي

(1) بروكلمان، "فقه اللغات الساميّة"، ص39.

مراحل استعماليّة لعلَّها كانت تترافق معاً، وبخاصة الضّاد الفصيحة والضاد الضعيفة، وهما مما وصفه سيبويه، ولكنَّهُ أشار إلى المرحلة الأولى ضمن الأصوات الفصيحة[1]، وأما الثانية فقد أشار إليها ضمن الأصوات غير المستحسنة[2]. ولم يشر سيبويه أو القدماء الآخرون إلى الضَّادِ الانفجاريَّةِ التي نستعملها في اللغة العربية الفصحى الآن، ولكن المعاصرين هم الذين وضحوها[3]. وهو الصوت الذي تتّخِذه العربية الفصحى شعاراً لها.

– صوت الظاء:

تتأتّى مشكلة صوت الظاء النطقيّة من عدد من الأمور التي يشير إليها فقهاء علم الأصوات، أوّلها أنه صوت بين أسنانيّ يشترك مع الثاء والذال في هذا المخرج، وثانيها أنه صوت مفخّم، والأمر الثالث هو صفة الجهر[4]، والصفة الأخيرة أقل الصفات إشكالاً.

غير أنَّه عند هذا الأمر لا يمكن القولُ غير ما قالوا، ولا تريد الدراسة في حقيقة الأمر أن تعرض مشكلةً عرضوا لها بهذه الصورة، بل تهتمُّ بصورة كبيرة بقضية التفت إليها علماء السَّلَف عندما أشاروا إلى التداخل الحادّ بين الضاد والظاء، ونحن في الواقع بحاجة ماسّة إلى الكشف عن سرِّ وجود عدد كبير من المعاجم التي ألفوها في موضوع هذا التداخل بين صوتي الضاد والظاء.

لقد سبق الحديث عن أنّ الضاد التي عدَّها سيبويه وعلماء الأصوات

---

(1) سيبويه، "كتاب سيبويه"، 4: 432.

(2) المصدر نفسه: 4: 432.

(3) بشر، "علم اللغة العام، الأصوات العربية"، ص100–104. وينظر: Al-Ani, Arabic Phonology, An Acoustic and Phonological Investigation, P. 46.

(4) ينظر في صفة صوت الظاء: سيبويه، "الكتاب"، 4: 433، وكمال بشر، "علم اللغة العام، الأصوات العربيّة، ص119، وينظر: Al- Ani, S., Arabic Phonology, An Acoustic and Phonological Investigation, P. 48.

العرب فصيحةً، وورد عن صفتها ما يجعل من أمر استمرارها مكوّناً من مكوّنات النظام الصوتي العربي أمراً صعباً، وهو ما أدّى بالعرب إلى الاتجاه إلى تلك الضّاد الأخرى التي عدُّوها ضعيفة، وهي صوت لا يكاد يختلف عن الظّاء، وإن كان من المتوقّع أن يبقى اللسان في المنطقة اللثوية، فلا يشترك مخرج ما بين الأسنان في أدائه، وهو ما يعني أنَّ الصوت الجديد (الضاد الضعيفة) لا يختلف عن الظاء إلا اختلافاً يسيراً، ومن اليسير أن يحدث هذا التداخل بين الصوتين.

وما زلنا نلمس هذا التداخل بينهما إلى يومنا هذا، فنحن نسمع أبناء البادية والأرياف في كثير من مناطق سورية والأردن والعراق والجزيرة العربية لا يفرقون بينهما في الاستعمال، بل هما صوت واحد، وتتبدّى هذه المشكلة في الناحية التعليميّة، عندما لا يميّز الطلاب بينهما في الكتابة؛ لأنهم يكتبون ما ينطقون.

وقد عنى هذا للنظام الصوتيّ أنه يمكن أن تنقص مكوّناته، ويبقى للصوتين صورة واحدة، ولكن النظام الصوتيّ لم يفعل ذلك، بل غيّر الضاد الضعيفة أيضاً إلى صوت آخر يمتاز بصفة الجهر والانفجار والتفخيم، وهو صوت الضاد الحديثة التي لم نجد لها ذِكْراً في الدراسات الصوتيّة العربية، مما يعني أنها صوتٌ حديثٌ في التعبير عن صوت الضاد، واحتفظت اللغة بهذا المكوّن الأصلي، وهو صوت الظّاء، وسيأتي استمرار للحديث عن الضاد الحديثة بعد قليل.

والمسألة الثانية التي تلتفت إليها هذه الدراسة، هي مسألة كيفية النطق، فهل كان صوت الظّاء دائماً كما هو الآن: ذلك الصوت الاحتكاكي الذي يخرج من بين الأسنان محتفظاً بصفتي الجهر والتفخيم؟

تذكر الدراسة رأي بروكلمان لا على سبيل التسليم به، بل على سبيل عرضه بالدرجة الأولى، فقد لاحظ بروكلمان ملاحظة دقيقة التفت إليها على عجالة من أمره العالِمُ التصريفيّ العربيّ ابن عصفور، فقد رأى بروكلمان أنَّ الظاء

قد تحوّلت إلى صاد في الأكاديّة كما في ṣillu والعبرية ṣel وإلى طاء مهموسة في السريانية ṭélālā[1] وكلها بمعنى (ظلّ) أو (ظِلال)؛ مما يشير إلى أن هذه الظاء كانت في الساميّة الأم مهموسة أيضاً[2].

وكان ابن عصفور قد أشار إلى أنّ العرب قالوا: ثالم، أي ظالم، فقال: "والظاءُ التي كالثاء، يقولون في "ظالم": ثالم، وكأنَّ الذين تكلموا بهذه الحروف المسترذلة، خالطوا العجم، فأخذوا من لغتهم"[3]، وهو نمط ربما قوّى رأي بروكلمان الذي قال فيه إنّ الظاء كانت في الأصل ثاء مفخّمة، وهو بهذا يستبعد الظاء المجهورة من النظام الصوتيّ للساميّة الأم.

وأما الحُكْمُ على وجودِهِ في مكوّنات النظام الصوتيّ للعربيّة الفصحى، فهو مؤكّد وموصوف، ولا خلاف في وصفه بين الدارسين، إلا ما عرفناه عن الاختلاط بينه وبين الضاد، وأما وجوده في اللهجات العربيّة البائدة، فهو مُمَثَّلٌ فيها دون أن نعرف صفاتِهِ الصوتيّةَ الدقيقةَ إلا عن طريق القياس على نظيره العربي الفصيح، ويمكن إيراد بعض الأمثلة على هذا الاستعمال، فقد جاء في اللهجة العربيّة الصفاويّة: hżlfn بمعنى قتل ولم يثأر له، ذهب دمه هدراً[4]، و żllبمعنى ظَلَّ، بَقِيَ (يفعل كذا) [5]، و żlt بمعنى ظِلَّة، مظلة، خباء، خيمة[6].

(1) حسنين، صلاح الدين ، "المدخل إلى علم الأصوات"، ص121-122.

(2) بروكلمان، "فقه اللغات السامية"، ص39.

(3) ينظر: ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي، "الممتع في التصريف". تحقيق: فجر الدين قباوة، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1996م) ص423. وقد ألّف الزنجاني كتاب "الفرق بين الظاء والضاد"، وألف ابن نشوان الحميري "مختصر في الفرق بين الضاد والظاء"، وأبو حيان الأندلسي " الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء"، وأبو البركات الأنباري "زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء"، وابن مالك "الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد"، وغيرهم كثير، ينظر: يحيى عبابنة وآمنة الزعبي، "علم اللغة المعاصر"، ص138.

(4) Littmann, Semitic Inscriptions, Safaitic Inscriptions, No. 395.

(5) Littmann, Semitic Inscriptions, Safaitic Inscriptions, No. 732.

(6) Winnett and Harding, Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, No, 564.

وفيها żllt وهي الملجأ أو البيت، أو الخباء[1]. وفيها żll بمعنى أظلّ أو ظلَّلَ، إذا قدَّمَ مِظلَّة أو ملجأ[2] و żlm بمعنى ظَلَمَ، جارَ[3]، وغيرها.

وجاء في العربيّة الثموديّة: żn>n بمعنى ظنّان، من الظن[4]، ومن المرجّح أن صورة الهمزة فيها جاءت تعبيراً عن الألف، وفيها ż<n بمعنى ظَعَنَ، إذا كانت فعلاً أو ظَعْن إذا كانت اسماً[5]. وينبغي أن يُشارَ هنا إلى قلَّة وجوده في اللهجة الثموديّة بالقياس إلى وجوده في العربيّة الفصحى أو العربيّة الصفاويّة.

وأما العربيّة اللحيانيّة، فلم تعثر الدراسة على أمثلة لمكوّن الظاء فيها، وربما يعود السبب إلى ندرة تمثيلها العام في اللغة العربيّة ولهجاتها البائدة، أو قلَّة النقوش اللحيانيّة حتى الآن، أو أنها لم تستعمله أصلاً.

إنّ وجوده في اللغة العربيّة ولهجاتها يثبت أنها صوت أصيل في اللغات الساميّة، على الرغم مما يقوله كارل بروكلمان من أنها كانت مهموسة ثم تحوّلت إلى مجهورة، فنحن نهتمُّ الآن بتأصيل وجودها في المجموعة العربيّة، ويمكن أن تكون موجودة في إحدى اللهجات الكنعانيّة البائدة، وهي الأوغاريتيّة، التي اختلط استعمالها فيها مع الغين، فورد هذا المكوّن مكتوباً فيها على هيئة الغين أيضاً[6]. أي أن الغين والظاء يشتركان في رسم واحد كتابياً.

– صوت الطاء

يمثّل وصف صوت الطاء إشكالاً شديد التعقيد بين العلماء العرب القدماء والعلماء المعاصرين الذين يعتمدون في توصيف الأصوات على الأجهزة الصوتيّة

(1) Clark, A Study of New Safaitic Inscriptions from Jordan, No. 313.
(2) Littmann, Semitic Inscriptions, Safaitic Inscriptions,, No. 412.
(3) Littmann, Semitic Inscriptions, Safaitic Inscriptions,, No. 1234.
(4) Lankester Harding, An Index and Concordanse of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, P. 394.
(5) Lankester Harding, An Index and Concordanse of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, P. 393.
(6) بيطار، إلياس ، "قواعد اللغة الأوغاريتية". (دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1992م)، ص23، 48.

الحديثة، فالقدماء يصفونه بأنَّه صوتٌ لثويّ أسنانيّ مفخّمٌ انفجاريّ مجهور، ونظيره المرقّقُ هو الدال[1]، في حين يصفه المحدثون بتلك الصفات ما عدا صفة الجهر، فهو عندهم مهموس، ويثبت همسه الواقع المستعمل عند أبناء العربيّة اليوم على اختلاف مستوياتهم الأدائيّة، ويثبتها أيضاً أجهزة علم الأصوات؛ ولذا فقد تأكّد هذا الأمر في دراساتهم الحديثة التي أعلنت أنّ النظير المرقق لهذا الصوت هو التاء وليس الدال[2].

وبعيداً عن صفاته الصوتيّة التي تجعل منه صوتاً مفخّماً ذا مخرج محدَّدٍ تحديداً دقيقاً، فإنَّ نظرتنا إلى وصف سيبويه له بأنَّه انفجاريٌّ مجهور تجعله شبيهاً بالضاد الانفجاريّة الحديثة[3]، ولا يعني هذا أنّ الطَّاء الحديثة التي نعرفها اليوم في قراءة الشعر وتلاوة القرآن، وأيِّ أداء فصيح أو عامي لنا في أغلب المناطق التي تألف الأداء اللغويّ العربيّ في الوطن العربي، كانت من الأصوات المبتدعة، بل هي ذلك الصوت الذي عابه سيبويه وابن جني وغيرهما من علماء العربيّة، ونعتوه بأنه (الطاء التي كالتاء)، فلا أظنُّ أنهما قصدا ما نسمعه اليوم على لسان بعض أبناء اللهجات العربيّة الحضريّة من نطق الطاء تاء تامة الصفات، بل هو نطقها مهموسة في مكان الطاء الفصيحة التي وُصِفت بالجهر:

الصوت	وصفه عند القدماء	النظير المرقق
الضاد الحديثة	لثوية أسنانية انفجارية مفخمة مجهورة	الدال
الطاء القديمة	لثوية أسنانية انفجارية مفخمة مجهورة	الدال
الطاء المهموسة	لثوية أسنانية انفجارية مفخمة مهموسة	التاء

(1) سيبويه، "الكتاب"، 4: 432-433، وابن جني، "سر صناعة الإعراب"، 1: 61.

(2) ينظر في هذا الأمر: أنيس، إبراهيم "الأصوات اللغويّة".(القاهرة: الأنجلو، 1979م)، ص61-62؛ بشر، كمال ، "علم اللغة العام، الأصوات العربيّة"، ص117.

(3) ينظر: حسنين، صلاح الدين ، "المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة"، ص113.

إنّ هذا المخطَّط الواضح في الجدول، يُظْهِرُ لنا أنّ الطَّاء قد تغيَّرت تغيّراً ملموساً؛ بسبب تحوّل الضاد إلى صفة الانفجار، فالتقت مع صفات الطاء الفصيحة، وقد آل هذا إلى مسألة تاريخيّة مهمة، وهي أنّ اللغة ستقلِّل من عدد مكوناتها الصامتيّة؛ لأنَّ الصّوتين صارا صوتاً واحداً، أي أنّ المكوّناتِ الصوتيّةَ ستصبح سبعة وعشرين مكوّناً بعد اتّحاد الضاد الانفجاريّة والطاء المجهورة في الصفات، ولكنّ النظامَ الصوتيّ العربيّ المستقرّ الذي لا يمكن أن يتجاوز القيد القرآنيّ صوتيّاً أو صرفيّاً أو نحويّاً، لم يسمح بهذا؛ لأنه يخلُّ بهذا القيدِ الصارمِ؛ ولهذا، فقد عَمَدَ إلى صوت الطاء الضعيفة ليحلَّه محلَّ الطاء الانفجاريّة المجهورة، وبهذا، فإنّ مكوّن الطاء يظلُّ موجوداً وهو ما يجب أن يكون.

– صوت الصاد

لا تمثّل الصّاد صوتاً مشكلاً في اللغة العربيّة أو اللغات الساميّة، بل لقد كانت مآلاً تؤول إليه الأصوات المستعصية النطق من الأصوات المفخّمة، كالظاء والضاد اللذين تحوّلا بسبب استغناء اللغات الساميّة عن أصوات التفخيم الموجودة أصلاً في نظامها الصوتيّ، وحوّلتها إلى صاد كما نرى في الأكاديّة والعبريّة والكنعانيات وبعض صور الأداء في العربيّة والإثيوبيّة الجعزيّة، فيما لجأت الآراميات (الآرامية القديمة والوسيطة والسريانية والنبطية والتدمرية) إلى الطاء أو العين.

وقد تكون عملية التماثل في العربيّة من هذا القبيل، فتتحوّل السين إلى صاد أيضاً إذا وقعت في سياق يدعو إلى التحوُّل إلى الصاد، كالسراط والصراط، وبسطة وبصطة، وغيرهما من الصيغ الاختياريّة أو البديلة التي نراها ممثلةً في أرقى صور الأداء اللغويّ كالقرآن الكريم وقراءاته السبع أو الشاذة.

ويمكن الإشارة إلى أنّ هذه التحوُّلات التي تعرض لها صوت الصاد في العربيّة وغيرها من اللهجات العربيّة البائدة أو اللهجات الساميّة ليس له تأثير في إعادة توزيع الأصوات الصامتة في العربيّة أو غيرها.

الخاتمة:

نتائج الدراسة:

تعدُّ هذه الدراسة نتيجة بحدِّ ذاتها، فهي تبحث التداخلَ بين الأصواتِ المفخّمةِ، وبخاصّة الضّاد والظّاء، لأنّ هذه الأصوات متقاربة في المخارج؛ بسبب ما حدث فيها من تغيُّرات حادة، في حين كانت الصاد صوتاً مفخّماً معزولاً عن التحوُّل إلى غيره من الأصوات، بل لقد كان مآلاً لبعض التغيُّرات التركيبيّة.

وأما النتائج الفرعية فمنها:

- كان صوت الضاد بوصفه القديم المشهور في النظام الصوتيّ العربيّ أهمّ الأصوات التي أدّت إلى التداخل، فقد كان لتحوُّله إلى ضاد أماميّة بسبب صعوبته المتأتية من الصفة الانحرافيّة، والتفخيم أيضاً، أثر بالغ في اختلاطه مع الظاء.
- وكان لتحوّل الضاد الضعيفة (الأمامية) إلى الصفة الانفجاريّة فيما بعد، أثر بالغ في اصطناع صوت جديد، ولكنه يشبه الطاء القديمة في جميع صفاته الصوتيّة، مما يفترض ضياع أحد الصوتين من النظام الصوتيّ العربيّ.
- ولقد فعل القيد اللغوي للعربية (التزام اللغة بمستوى القرآن الكريم) فعله، فلم يسمح بضياع أَحَدِ المكوّنات، على الرغم من تداخلها، فأبقى على الظّاء المجهورة لتمثِّل صوت الضاد الانفجاريّة، وجاء بالطاء التي كالتاء لتكون بديلاً عن الطاء المجهورة التي انتهت من النظام الصوتيّ دالة على مكوّنِ الطاء، لتصبح الضاد الحالية.
- وذهبت الدراسة إلى أنَّ الدافع الأوَّل المهمَّ في هذه التداخلات، كان صعوبة صوت الضاد، ولولاها ما حدث بين الضاد والظاء أولاً، ولما كان بهذه الكثرة التي تسمح بتأليف رسائل معجميّة كثيرة في رصد أنماطها.
- لم تكن صفة التفخيم ذات تأثير في تحوّلات الصاد في العربيّة أو لهجاتها

البائدة: الصفاوية والثمودية واللحيانية، أو غيرها من اللغات السامية المختلفة.

- لقد فقد كثير من اللغات الساميّة الضّاد والظّاء؛ لأسباب تداوليّة تتعلق بسياقها، من حيث الصعوبة أو تأثير اللغات المجاورة، ولكنها احتفظت بالطاء والصاد، وهو احتفاظ بالحكم العام عليها دون أن نتمكّن من تخصيصها بالوصف الصوتيّ الدقيق.
- لقد احتفظت اللهجات العربيّة البائدة بأغلب هذه الأصوات في أنظمتها الصوتيّة، ولكنّ هذا الاحتفاظ ذو سمة عامة تعنى بالحكم على أصالتها ووجودها فيها، ولكن هذا لا يعطينا أدنى فكرة مؤكّدة عن أوصافها الصوتيّة الدقيقة. بيد أنه يمكن القول بأن الحكم على وجود الظاء في اللهجة العربية اللحيانية ما زال بحاجة إلى أن نكتشف نقوشاً جديدة ممثلة لهذا الصوت فيها.
- تمثّل تحولات بعض أصوات التفخيم في اللغات الساميّة إلى أصوات مهموسة إشكاليّة قد تقود إلى القول بأنها كانت مهموسة أيضاً، فصوت الظاء الذي لا نشكُّ الآن في أنه مجهور، تحوّل إلى صاد في المجموعة الكنعانيّة ومنها العبريّة والأكاديّة والإثيوبيّة الجعزيّة، وبعض الأنماط العربيّة التي يشتمل عليها المعجم الاستعمالي العربيّ، وتحوّلت إلى طاء في أغلب لهجات المجموعة الآراميّة.
- وتحوّلت الضاد إلى صاد في المجموعة الأكاديّة والآراميّة القديمة، وفي هذا مؤشِّر على أنّ هذه الأصوات ربما كانت مهموسة في الساميّة الأم، ولو أنها كانت مجهورة لوجدنا أنها احتفظت بصفة الجهر، وهو أمرٌ رآه بعض الباحثين مستندين إلى أمثلة تاريخيّة نادرة، والمنهج المقارن بين اللغات الساميّة.

المراجع

الأنباري، أبو البركات. "زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء". تحقيق: رمضان عبد التواب. (بيروت: دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، 1971).

أنيس، إبراهيم. "الأصوات اللغوية".(القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، 1979).

برجشتراسر. "التطور النحوي للغة العربية". نشره: رمضان عبد التواب. (القاهرة: مكتبة الخانجي 1985).

بروكلمان. "فقه اللغات السامية". تعريب: رمضان عبد التواب. (الرياض: جامعة الرياض، 1977).

بشر، كمال. "علم الأصوات". (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000).

بشر، كمال. "علم اللغة العام، الأصوات العربية". (القاهرة: مكتبة الشباب، 1987).

بيطار، إلياس. "قواعد اللغة الأوغاريتية". (دمشق:منشورات جامعة دمشق، 1992).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "الخصائص". تحقيق: محمد علي النجار. (القاهرة:دار الهدى، مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983).

ابن جني، أبو الفتح عثمان."سرّ صناعة الإعراب" تحقيق: حسن هنداوي. (دمشق: دار القلم، 1985).

حسان، تَمّام. "مناهج البحث في اللغة". (القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية، 1990).

أبو الحسن، حسين. "قراءة لكتابات لحيانية". (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد، 1997).

حسنين، صلاح الدين. "المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة". (القاهرة: دار الاتحاد العربي، 1981).

أبو حيان."تفسير البحر المحيط". (بيروت:طبعة دار الفكر، المصورة عن طبعة دار السعادة بمصر، 1328هـ).

رمضان، محيي الدين."في صوتيات اللغة العربية". (عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، د.ت).

الزعبي، آمنة صالح. "التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية".(إربد: دار الكتاب الثقافي، إربد، 2005).

الزعبي، آمنة صالح. "اللهجة العربية الثمودية، دراسة تاريخية مقارنة في الأصوات والأبنية والدلالات في ضوء الفصحى واللغات السامية". (عالم الكتب الحديث، 2006).

الزمخشري. "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

الزنجاني، أبو القاسم. "الفرق بين الضاد والظاء". تحقيق ودراسة: موسى بناي علوان العليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1983.

سيبويه، عمرو بن عثمان."الكتاب". تحقيق: عبد السلام هارون.(القاهرة: طبعة مصورة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).

الطائي، زيد الخيل. ديوان زيد الخيل الطائي، تحقيق: نوري حمودي القيسي. (النجف: مطبعة النعمان، د.ت).

عبابنة، يحيى. آمنة، الزعبي. "علم اللغة المعاصر، مقدّمات وتطبيقات". (إربد: دار الكتاب الثقافي، 2008).

عبد التواب، رمضان. "مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء". (العراق: مجلة المجمع العلمي العراقي،(1971م): 21.

ابن عصفور، علي بن محمد الإشبيلي. "الممتع في التصريف". تحقيق: فجر الدين قباوة. (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1996).

كمال، ربحي. "الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة". (بيروت:منشورات جامعة بيروت العربية، 1980).

الكناعنة، عبد الله. "أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية". (عمّان: مطبوعات وزارة الثقافة، 1997).

ابن مالك الأندلسي. "الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد". تحقيق وتقديم: حسين تورال وطه محسن. (النجف: مطابع النعمان، 1972).

ابن مجاهد. "كتاب السبعة في القراءات". تحقيق: شوقي ضيف. (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

مكي، مكي بن أبي طالب القيسي. "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها". تحقيق: محيي الدين رمضان. (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981).

ابن منظور. "لسان العرب". (بيروت:دار صادر، 1955).

ابن نشوان، الحميري. "الفرق بين الضاد والظاء". تحقيق: محمد حسن آل ياسين. (بغداد:مطبعة المعارف، 1961). ومعه كتاب الفرق بين الضاد والظاء لأبي حيان الأندلسي.

ابن يعيش، علي. "شرح المفصل". (القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت).

References:

'Abābnah, Yaḥyā. Āmnah, al-Za'ūbī. "'Ilm al-Lughah al-Mu'āṣir, Muqaddimāt wa-Taṭbīqāt". (Irbid: Dār al-Kitāb al-Thaqāfī, 2008).

'Abd al-Tawāb, Ramaḍān. "Mushkilat al-Ḍād al-'Arabīyah wa-turāth al-Ḍād wa-al-Ẓā'". (Al-'Irāq: Majallat al-Majma' al-'Ilmī al-'Irāqī,(1971M): 21.

'Abd al-Tawāb, Ramaḍān. "Mushkilat al-Ḍād al-'Arabīyah wa-turāth al-Ḍād wa-al-Ẓā'". (Al-'Irāq: Majallat al-Majma' al-'Ilmī al-'Irāqī,(1971M): 21.

Abū al-Ḥasan, Ḥusayn. "Qirā'ah li-kitābāt Lahyānīyah". (Al-Riyāḍ: Maṭbū'āt Maktabat al-Malik Fahd, 1997).

Abū Ḥayyān. "Tafsīr al-Baḥr al-Muḥīṭ". (Bayrūt: Ṭab'at Dār al-Fikr, al-muṣawwarah 'an ṭab'at Dār al-Sa'ādah bi-Miṣr, 1328H).

Al-Anbārī, Abū al-Barakāt. "Zīnat al-Faḍlā' fī al-farq bayn al-Ḍād wa-al-Ẓā'". Taḥqīq: Ramaḍān 'Abd al-Tawāb. (Bayrūt: Dār al-Amānah wa-Mu'assasat al-Risālah, 1971).

Al-Kanā'anah, 'Abdullāh. "'Athar al-ḥarakah al-muzdawijah fī bunyat al-kalimah al-'Arabīyah". (Amman: Maṭbū'āt Wizārat al-Thaqāfah, 1997).

Al-Zamakhsharī. "Al-Kashāf 'an ḥaqā'iq al-tanzīl wa-'uyūn al-aqāwīl fī wujūh al-ta'wīl". (Bayrūt: Dār al-Ma'rifah, n.d.).

Al-Zanjānī, Abū al-Qāsim. "Al-farq bayn al-Ḍād wa-al-Ẓā'". Taḥqīq wa-dirāsah: Mūsā Bināy 'Alwān al-

'Alīlī, Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu'ūn al-Dīnīyah, Baghdād, 1983.

Al-Zu'bi, Āminah Ṣāliḥ. "Al-lahjah al-'Arabīyah al-Thamūdīyah, dirāsah tārīkhīyah muqāranah fī al-aṣwāt wa-al-abnīyah wa-al-dalālāt fī ḍaw' al-fuṣḥā wa-al-lughāt al-Sāmīyah". ('Ālam al-Kitāb al-ḥadīth, 2006).

Al-Zu'bi, Āminah Ṣāliḥ. "Al-taghyīr al-tārīkhī lil-aṣwāt fī al-lughah al-'Arabīyah wa-al-lughāt al-Sāmīyah". (Irbid: Dār al-Kitāb al-Thaqāfī, Irbid, 2005).

Bashr, Kamāl. "'Ilm al-aṣwāt". (Al-Qāhirah: Dār Ghurayb lil-Ṭabā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī', 2000).

Bashr, Kamāl. "'Ilm al-lughah al-'āmm, al-aṣwāt al-'Arabīyah". (Al-Qāhirah: Maktabat al-Shabāb, 1987).

Bayṭār, Ilyās. "Qawā'id al-lughah al-Ughārītīyah". (Dimashq: Munshūrāt Jāmi'at Dimashq, 1992).

Bergsträsser. "Al-taṭawwur al-naḥwī lil-lughah al-'Arabīyah". Nasharuh: Ramaḍān 'Abd al-Tawāb.(Al-Qāhirah: Maktabat al-Khanjī 1985).

Brockelmann. "Fiqh al-lughāt al-Sāmīyah". Ta'rab: Ramaḍān 'Abd al-Tawāb. (Al-Riyāḍ: Jāmi'at al-Riyāḍ, 1977).

Ḥassān, Tammām. "Manāhij al-baḥth fī al-lughah". (Al-Qāhirah: Maktabat al-Anglū al-Miṣrīyah, 1990).

Ḥusnayn, Ṣalāḥ al-Dīn. "Al-Madkhal ilā 'ilm al-aṣwāt, dirāsah muqāranah". (Al-Qāhirah: Dār al-Ittiḥād al-'Arabī, 1981).

Ibn 'Asfūr al-Ishbīlī. "Al-Mumti' fī al-taṣrīf". Taḥqīq: Fajr al-Dīn Qabāwah. (Bayrūt: Maktabat Lubnān Nāshirūn, 1996).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ 'Uthmān. "Al-Khaṣā'iṣ". Taḥqīq: Muḥammad 'Alī al-Najjār. (Al-Qāhirah: Dār al-Hudā, muṣawwarah 'an ṭab'at al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, 1983).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ 'Uthmān. "Sirr ṣanā'at al-i'rāb" Taḥqīq: Ḥasan Hindāwī. (Dimashq: Dār al-Qalam, 1985).

Ibn Mālik al-Andalusī. "Al-I'tidād fī al-farq bayn al-Ẓā' wa-al-Ḍād". Taḥqīq wa-taqdīm: Ḥusayn Tūrāl wa-Ṭah Maḥsin. (Al-Najaf: Maṭābi' al-Nu'mān, 1972).

Ibn Manẓūr. "Lisān al-'Arab". (Bayrūt:Dār Sādir, 1955).

Ibn Mujāhid."Kitāb al-Sab'ah fī al-Qirā'āt". Taḥqīq: Shawqī Da'īf. (Al-Qāhirah: Dār al-Ma'ārif, n.d.).

Ibn Nashwān al-Ḥimyarī. "Al-Farq bayn al-Ḍād wa-al-Ẓā'". Taḥqīq: Muḥammad Ḥasan Āl Yāsīn. (Baghdād: Maṭba'at al-Ma'ārif, 1961). Wa-ma'ahu Kitāb al-Farq bayn al-Ḍād wa-al-Ẓā' li-Abī Ḥayyān al-Andalusī.

Ibn Ya'īsh, 'Alī. "Sharḥ al-Mufaṣṣal". (Al-Qāhirah: Maktabat al-Mutanabbī, n.d.).

Kamāl, Rabḥī. "Al-ibdāl fī ḍaw' al-lughāt al-Sāmīyah, dirāsah muqāranah". (Bayrūt: Munshūrāt Jāmi'at Bayrūt al-'Arabīyah, 1980).

Makkī, Makkī ibn Abī Ṭālib al-Qaysī. "Al-Kashf 'an Wujūh al-Qirā'āt al-Sab' wa-'Ilalihā wa-Hujajihā". Taḥqīq: Muḥyī al-Dīn Ramaḍān. (Bayrūt, Mu'assasat al-Risālah, 1981).

Ramaḍān, Muḥyī al-Dīn."Fī Ṣawtīyāt al-Lughah al-'Arabīyah". (Amman: Maktabat al-Risālah al-Ḥadīthah, n.d.).

Sībawayh, 'Amr ibn 'Uthmān."Al-Kitāb". Taḥqīq: 'Abd al-Salām Hārūn.(Al-Qāhirah: Ṭab'at muṣawwarah 'an al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, n.d.).

Zayd al-Khayl al-Ṭā'ī, Dīwān Zayd al-Khayl al-Ṭā'ī, Taḥqīq: Nūrī Ḥamūdī al-Qaysī. (Al-Najaf: Maṭba'at al-Nu'mān, n.d.).

English References:

Al- Ani, S. 1970. Arabic Phonology: An Acoustic and Phonological Investigation. Indiana University.

Beeston, A.F.L., M.A. Ghul, W.W. Müller, and J. Ryckmans. 1982. Sabaic Dictionary: English French- Arabic. Beirut: Librairie du Liban.

Clark, F. 1980. A Study of New Safaitic Inscriptions from Jordan.

Huber, M. 1891. Journal d'un Voyage en Arabie.

Jaussen, A. and R. Savignac. 1904. Mission archeologique en Arabie.

Lankester Harding, G. 1971. An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions. Toronto: University of Toronto Press.

Leslau, W. 1987. A Comparative Dictionary of Ge'ez, Classical Ethiopic. Wiesbaden: Otto Harrassowitz.

Littmann, E. 1943. Semitic Inscriptions: Safaitic Inscriptions.

Winnett, F.V. and G. Lankester Harding. 1978. Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns.

Winnett, F.V. Studies in Thamudic.